المطران روبير ربّاط

بنعمةِ الله

راعي أبرشية الملاك ميخائيل للرَّومِ الملكيين الكاثوليك في أستراليا، نيوزيلاندا وجزر أوقيانيا

إلى الإكليروس، الرهبانِ والراهباتِ، وجميع المؤمنين في أبرشيّتنا المباركة والمحبوبة من السيّد المسيح.

رسالةٌ رعويَّةٌ بمناسبةِ عيد الميلادِ الإلهيّ، 2025 وعيد الظهور الإلهيّ، 2026

"رأينا نجمه في المشرق، فجئنا لنسجد له" (متى 2:2).

أعزائي، إخوتي وأخواتي بالمسيح، الّذي هو "الله معنا"،

معظم الناس معتادون على صورة ميلاد ربّنا. ولا تزال تُقام في بيوتنا وبعض الأماكن العامّة مغارة، مع مجموعة من التماثيل التي تجسّد الشخصيّات الرئيسيّة في قصّة الميلاد.

ولو سألنا الناس عن ذلك، حتى الّذين لا علاقة لهم بالكنيسة، سيجيبون إنّه أمر يتعلّق بمريم ويوسف ويسوع، والرعاة والملائكة، والمجوس... وكلّ ذلك دون أن يعرفوا شيئًا عن لاهوت هذا الحدث. ما حدَثَ في بيت لحم في تلك الليلة منذ حوالي ألفَي سنة، لا يزال يشغل الخيال الشعبيّ رغم أنّنا نسير كالنيامى غير مبالين في مجتمعٍ متعدّد الأديان والثقافات.

ربّما أكثر الشخصيات غموضًا في مشهد مغارة الميلاد هم المجوس، الفلكيون، أو العلماء الزرادشتيّون، رغم أنّه من الممكن أنهم لم يصلوا إلى بيت لحم إلا بعد ميلاد يسوع بفترة. يدخلون، بحسب رواية إنجيل متّى، في الآية الأولى من الفصل الثاني، ويعودون إلى وطنهم في بلاد ما بين النهرين، في الآية الثانية عشرة من الفصل نفسه.

ومن الجدير بالذكر أننا لا نعرف بالضبط من أين جاء هؤلاء المجوس، رغم أن بلاد فارس كانت هي بلاد الزرادشتيّة. ولا نعرف عددهم، ولكنّنا عادةً نعتبرهم ثلاثة، بسبب الهدايا الثلاث التي قدّموها للطفل الإلهيّ. ولا نعرف أسماءهم، رغم أنّنا أعطيناهم أسماء من بلاد ما بين النهرين، أو على الأقل أسماء لها صدى في تلك البلاد، وهي كاسبار وميلكيور وبلتازار. لا نعرف كم من الوقت استغرقت رحلتهم، رغم أنّها ربّما استغرقت بضعة أشهر على طريق الحرير. ولا نعرف كم من الوقت أمضَوا في الأرض المقدّسة.

في أوائل القرن الثالث، اقترح المعلّم ترتليانس، المحامي المسيحيّ الذي عاش في شمالي أفريقيا، أنّهم كانوا ملوكًا، وذلك تحقيقًا لنبوءة أشعيا: "فتسير الأمم في نورك، والملوك في ضياء إشراقك" (أش 3:60).

لماذا أصبح المجوس الغامضون جزءًا مهمًّا من رواية الميلاد؟ أظنّ أنّ الأسباب غير واضحة للوهلة الأولى. لم يكونوا مجرّد مسافرين أو سائحين، بل كانوا حجّاجًا. كانوا يقومون برحلة هدفها رصد علميّ، ولكن أيضًا مستمَدّة من الإيمان. كان في أذهانهم شخص ووجهة، لكنّ التفاصيل لم تكن واضحة. سيأتي اليقين في نهاية رحلتهم، عندما يلتقون الطفل يسوع وجهًا لوجه. ويمكننا أن نرى في رحلتهم على طول طريق الحرير، صورة لرحلةٍ علينا جميعًا أن نقوم بها.

إلى هؤلاء المجوس المسيحانيّين – الزرادشتيّين، أوّلِ ثمارٍ بين الأمم، أوجّه أفكاري في عيد الميلاد هذا، لعلّ رحلتهم تحدّثنا.

كان يقودهم نجم. وباعتبار مجموعة من الآباء والمعلمين مثل أوريجانس والقدّيس إغناطيوس الانطاكي، والبابا القدّيس لاون الكبير، والقدّيس يوحنّا الذهبيّ الفمّ والعديد غيرهم، هذا النجم لم يكن نجمًا طبيعيًّا، كما نرى النجوم عندما ننظر إلى السماء ليلًا، بل بالحريّ كان ملاكًا، أو طاقة، أو كيانًا مخلوقًا خصّيصًا لهذا الحدث. اقترَحَ أحد علماء القرن التاسع عشر أنّه كان "الشيكينا أي الحضور" (Shekina)، وأنّ النجم/ ἀστέρι يمكن ترجمته بإشراق، إشراق الحضور الإلهيّ. ومهما يكن من أمره، فإنّ هذا النجم كان يتحرّك كمثل كائن حي، يستريح ويستأنف رحلته، وفي النهاية يقف "فوق المكان الذي كان فيه الصبيّ" (متّى 2:9).

يشير الإنجيليّ إلى أنّ النجم لم يكن يراه سكّان أورشليم. وبقي غير مرئيّ طوال الوقت الذي كان فيه المجوس مع هيرودس، ثم عاد ليقودهم إلى بيت لحم. "هذا النجم يجلب المجوس كهديّة ميلادِ الله المولود على الأرض..." (القدّيس غريغوريوس بالاماس، عظة عن الميلاد المجيد).

لماذا اختفى النجم فوق أورشليم؟ ربّما لأنّها كانت مركزًا دينيًّا وإداريًّا لنظام فاسد ومساوم. ذهب المجوس إلى العاصمة الوطنيّة وإلى القصر الملكيّ، لأنّ حكمتهم البشريّة كانت ترى أنّ هذا المكان هو المكان الوحيد المناسب لولادة ملك.

وعند اختفائه عن الأنظار، منح النجم المجوسَ الفرصة للبحث عن الملك الجديد حيثما اعتقدوا أنّه يمكن أن يكون. ومع ذلك كان الملك الأوحد الذي وجدوه في ذلك القصر (هيرودوس) هو عميل روما المنحطّ والمخادع، والذي كان مقدّرًا له أن يُذكر كقاتلٍ للأطفال.

في البداية، لم يثق المجوس في "إحساسهم بالاتّجاه"، سواء الماديّ أو الروحيّ، لذلك اتبعوا دليلهم السماويّ طوال الرحلة وأطاعوه. سافروا معًا، ووجدوا الطفل الإلهيّ معًا، وسجدوا له معًا، وقدّموا له كنوزهم.

هل كانت روعة القصر هي التي أدهشت المجوس حتى يروا فيها الملك المولود جديدًا؟ ألسنا في كل عام نُفتَن بمشاهد وأنغام عيد الميلاد التجاريّة؟ وسط كلّ هذا، هل نتوقّف ونفكّر إذا كان المسيح حاضرًا حقًّا في مراكز التسوّق الشبيهة بقصر هيرودس؟ حتى وإن كانت أنغام الموسيقى المعلّبة التي لا تنتهي تتضمّن أغنية "الليلة عيد"؟ لماذا غالبًا ما نكتفي باحتفالٍ مزيّف بدلًا من العيد الحقيقيّ؟

مِثلَ المجوس، عندنا الحرية نفسها لنبحث عن يسوع حيث نعتقد أنّه موجود. وكما لم يجدوه في قصر هيرودس، يجب أن نعترف أنّنا لن نجده حقًّا في بريق موسم الأعياد وأضوائه. سيكون إذّاك عيد الميلاد بدون المسيح، صاحب العيد.

وهناك تفصيل آخر في نهاية زيارة المجوس، غالبًا ما نتجاهله: "أوحيَ إليهم في حُلم أنْ لا يرجعوا إلى هيرودس، فانصرفوا في طريق أخرى إلى بلادهم" (متّى 2: 12). بعد أن أتمّوا رحلة الحجّ، والتقوا بالطفل يسوع، غيّروا طريقهم، أو بالأحرى غيّر الله طريق رحلتهم.

عندما نلتقي بربّنا في القدّاس الإلهيّ (الليترجيّا الإلهيّة) وفي الأسرار المقدّسة، هل نتغيّر أو نتحوّل فنختار طريقًا أفضل، أم إنّنا نبقى بكلّ بساطة في نفس الطريق؟

في هذا العيد السعيد والمبارك، وفيما نحن نقترب من المكان الذي كان فيه الطفل، لنجثُ أمامه كما فعل المجوس، ولنقدّمْ له أفضل هديّة لدينا، ألا وهي عزمنا على التغيير، وعلى أن نسلك طريقًا جديدًا لا يؤدّي إلى قصر هيرودس، بل إلى ملك الملوك، الطفل المولود في مزود.

"لأن القوة الإلهيّة ظهرت من خلال جسد الإنسان كَنورٍ عَبْرَ الزجاج، وأشرقت على من تطهرّت عيون قلوبهم. لنكن نحن أيضًا من بين هؤلاء، بوجه مكشوف يرى مجد الربّ" حتى نتحوّل أيضًا "من مجد إلى مجد" بمجد ربّنا يسوع المسيح ومحبّته للبشر". (القدّيس باسيليوس الكبير).

إخوتي وأخواتي الأعزّاء في المسيح يسوع المولود لأجلنا في بيت لحم،

ليكن عيد الميلاد الإلهيّ المبارك وقت سلام وفرح عظيم وكلّ عطية صالحة من العلاء، لكلّ واحد منكم ولأحبّائكم.

مع بركتي الأبويّة وصلواتي،

المسيحُ وُلِد، فَمَجِّدُوه! Χριστός γεννάται! Δοξάσατε! Christ is born! Glorify Him!

✠ المطران روبير ربّاط

صدَرَ عن كرسيِنا في غرين إيكر، نيو ساوس وليز

18 كانون الأوّل/ديسمبر 2025